سلطان ناجي
مؤرخ ومفكر يمني
www.sultannagi.com

الأثار

مجلة تراثية فصلية

يصدرها المركز اليمني للابحاث الثقافية والآثار والمتاحف

المجلد الثاني — العدد الثاني — جمادى الآخرة ١٣٩٨ / مايو ١٩٧٨

من تاريخ المدن اليمنية:
الشحر، المكلا، شبام، تريم، سيئون

سلطان ناجي ، عدن، مجلة التراث، العدد الثاني، المجلد الثاني، ١٩٧٨م.
(لمحة تاريخية).

من تاريخ المدن اليمنية:
الشحر ، المكلا ، شبام ، تريم ، سيئون

سلطان ناجي

الشحـــر

في القديم كانت لفظة "شحر" تُطلق على المنطقة الساحلية الممتدة من عُمان إلى عدن بما في ذلك ساحل حضرموت. وكانت لفظة "الأسعاء" تطلق على ساحل حضرموت بالذات. أما الشحر بمعنى الميناء والمدينة الحاضرة، فالأرجح أن إستخدامها يعود إلى وقت لاحق. فقد روى أن أحد ملوك بني رسول وهو الملك المظفر جدد بنائها عام ٦٧٠هـــ. وقد ذكر الأنصاري صاحب "نخبة الدهر في عجائب البر والبحر" بأن لهذا الصقع، يعني حضرموت، فرضتين، إحداهما "شرمه" والأخرى "الشحر" و لم تكن بمدينه، وكان الناس يترلون في أخصاص، أي في أكواخ وعشش، فبنى الملك المظفر صاحب اليمن مدينه حصينة بعد ستمائة وسبعين "ومع كونها مرسى ذا أخصاص أي بيوت صغيرة من الخوص والسعف فقد كانت كبيرة القدر عند أمراء حضرموت وكم كانت بينهم من ملحمة من أجلها".

قال الفقيه بامخرمةالسيباني في تاريخ ثغر عدن في ترجمة أبي حنيفة النقيب العدني شاعر ملك الشحر لذلك العهد عبدالرحمن بن راشد بن إقبال تقويلا على قصيدة للشاعر على البال بال " الشبواني":

عفوني وقالوا أطلت التغرّب وأوحشت الوطن

وتعوّضت عن صيرة بصعيب وأعتضُت الأسعاء عن عدن

والأسعاء وسمعون من أسماء الشحر ولها إسمان آخران الأشحار والأحقاف. سُميت الشحر لأن سكانها كانوا جيلاً من مهرة يسمون "الشحرا" فحُذف الألف وكُسر الشين والأشحار جمعها. وكذا سُميت "الأسعاء" لأنه كان بها واد يُسمى الأسعاء وكان كثير الشجر وكان فيه آبار ونخل وكانت البلاد حوله من الجانب الشرقي والمقبرة القديمة في جانبه الغربي. وسميت "سمعون" لأن بها واد يُسمى سمعون والمدينه حوله من الشرق والغرب وشرب أهلها من آبار سمعون. وسُميت "الأحقاف" لأن الأحقاف الرمال وأحدها حقف، والشحر كثير الرمال.

وقد عُرفت الشحر بأنها أحد أسواق العرب الخمسة كعدن وصنعاء وبالفعل فان ميناء الشحر قد ورث ميناء قنا، في بير علي، الذي كان الميناء الرئيسي لحضرموت القديمة أبان إزدهار الحضارة اليمنية القديمة قبل الإسلام. وكان الميناء الذي يستلم ويصدّر المر واللبان بحراً وبراً عبر طريق البخور المار في "تمنع" و "مارب" و "نجران" والمتجه إلى الشمال غربي الجزيرة العربية.

ومن الأسماء الأخرى التي عُرفت بها "السوق". والمعروف أن المهرة كانت عاصمتها "حيريج" – والتي هي خربة في الوقت الحاضر قريب "سيحوت" وعلى مصب وادي مسيلة – هم الذي

أستوضعوا في العصور الوسيطة المنطقة بين السوق والمصينعة وأقاموا إلى شمال شرقي "السوق" سوقاً أسماه العرب سوق المهرة أو سوق الشحر، وفي مرحلة لاحقة هاجم المهرة السوق القديمة وأطلقوا عليه أسم "الشحر" . ومع ذلك فإن التسمية القديمة "السوق" لمدينة الشحر لا تزال تُعرف إلى اليوم.

والشحر تتكون من دلتا كانوا يطلقون عليها أسم اللسة" لجفافها، وقد حُرّفت إلى "اللسعة" لشدة حرارة الشمس، ثم حُرّفت إلى "الأسعاء" أو "الأسعى"، ثم حُرّفت إلى "سعاد" وهو الإسم الذي يطلقه أهل الشحر على المدينة، ومن هنا تأتي تسميه مخطوطة باسباع الشحري عن المدينة بعنوان: "بهجه السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر" وبالطبع فهو يعني ببندر سعاد بندر الشحر ولأن الشحر كانت جزءاً من المهرة بلهجتها المتميزة فإن الهمداني يشير إلى هذه الحقيقة بقوله: " لسان أهل الشحر مستجمعة جداً لا يكاد يوقف عليها". وفي معجم ما أستعجم يقول البكري: " الشحر ساحل اليمن وهو ممتد بينها وبين عمان". وقال العجـــاج:

" رحلتُ من أقصى بلاد الرُحّـــل من قلل الشحر فجبني موكل."

وقال البشاري في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم": "الشحر مدينة على البحر معدن السمك العظيم يُحمل إلى عُمان ثم إلى البصرة وأطراف اليمن ثم أشجار الكند وصمغها – يعني اللبان".

لقد تداول حكم الشحر قديماً سبأ فحضرموت فمهرة ثم الفرس عند إحتلالهم لليمن قُبيل الإسلام وجعلوا "أمسخيت", أي والياً، عليها. ثم دخلت ضمن الحكم الإسلامي أيام الراشدين والخلفاء الأمويين والعباسيين كإحدى المناطق اليمنية المرتبطة بدار الخلافة. وفي أيام الخليفة مروان بن محمد الملقب بالحمار ظهر عبدالله بن يحيى الكندي الأباضي وملك الشحر مع سائر حضرموت واليمن. ولما قضي على ثورة إبن يحيى عادت الشحر إلى حظيرة الخلافة الأمويّة مع بقية المناطق اليمنية. ومن المآثر الإسلامية الأولى في الشحر مسجد الجامع الذي بنته قبيلة كندة ويُعتبر من أقدم المساجد الإسلامية في اليمن.

ولقدت تعاقب على الشحر في تاريخها الإسلامي حكومات متعددة تستقل بالأمر فيها تارة وتخضع لملولك اليمن فيها تارة أخرى، وقد تكون الشحر أحياناً هي عاصمة الإمارة بينما تكون أحياناً أخرى تابعة لإمارة تتخذ من مدن حضرموت عاصمه لها، إلا ان شيئاً ثابتاً في تاريخها الطويل خلال العصور الإسلامية والجزء الأكبر من العصور الحديثة هو أن الشحر كانت خلال هذه الفترة أحدى الموانئ الثلاثة المزدهرة وهي عدن و المخا و الشحر.

وعند إستقلال أول الدول اليمنية في القرن الثالث الهجري وهي الدولة الزيادية نجد ان هذه الدولة تملك "اقليم اليمن بأسره وحضرموت بأسرها والشحر ومرباط وأبين وعدن والتهائم إلى حلي بن يعقوب، وكذلك من جبال الجند وأعماله ومخلاف جعفر ومخلاف المعافر وصنعاء وأعمالها ونجران وبيحان والحجاز بأسره".

ولما أنتزع اليعفريون من بني زياد بعض المناطق اليمنية نجد أنهم يمدون سلطتهم على الشحر ولكن قبائل المهرة ومنهم أبو الثور المهري سرعان ما تنقض على اليعفريين وتستأثر بحكم الشحر، ثم عادت إلى حكم بني زيـــاد وكانت تحت أيديهم إلى عام ٣٦٦ هجرية.

وبعد الدولة الزيادية نجد أن بني معن من العوالق يسيطرون تقريباً منذ بداية القرن الخامس الهجري على كل جنوب اليمن بما في ذلك عدن وأبين وحضرموت والشحر ذاتها. ثم جاء الصليحي فحكم اليمن كلها وأبقى بني معن نواباً عنه في عدن والشحر. فلما قُتل علي الصليحي في منتصف القرن الخامس الهجري تغلّب بنو معن على ما بأيديهم ثم قصدهم إبنه المكـــرم إلى عدن وأخرجهم منها وولاها العبّاس ومسعود إبني المكرّم الهمداني. أما حضرموت والشحر فقد تغلّب فيها في هذه الفترة أمراء البلاد كما يظهر. وكانت العشيرتان المسيطرتان هما "آل بن فارس" و "آل إقبال" اللتان تولتا الشحر حتى الربع الأخير من القرن السادس الهجري.

جاءت الدولة الأيوبية من مصر لتحتل اليمن "وتفعل فيه الأفاعيل" كما يقول المؤرخون. وكان الأمير عثمان الزنجبيلي هو الذي غزا الشحر وحضرموت "و عسف أهلها عسفاً شديداً".

ثم عادت الشحر بعد فترة إلى أيدي أهلها برهة مع إنتشار الحروب بينهم. ثم عاد الأيوبيون – ويسميهم المؤرخون اليمنيون الغز– وطردوا بقية آل إقبال من الشحر في مطلع القرن السابع الهجري وعاثوا فساداً في حضرموت والشحر وما والاها من حيريج إلى أحور. وبعد أن قتلت لهد نائب الأيوبيون عاد عبدالرحمن بن راشد بن إقبال فملك الشحر ثم أشترى حضرموت جميعها من ولاتها سنة ٦٣٣هـــ. ثم خرجت عن يده بعد أن ملك إبن شماخ حضرموت بأجمعها.

ثم جاءت الدولة الرسولية فغزت بجنودها من الغز حضرموت والشحر وملكوها. ولما أشترى سالم بن إدريس الحبوظي ملك ظفار حضرموت أحتدم الصراع بينه وبين الدولة الرسولية في الشحر وحضرموت. وفي ملك يوســـــف المظفّر بن علي الرسولي جرد حملة كبيرة برّية وبحريّة ضد الحبوظي فملكوا الشحر وظفار وحضرموت بأسرها. وقد أقطعت الشحر لأحد أبناء الملك الرسولي من أجل إقصائه عن ولاية العرش. وقد أستطاع أحد امراء الشحر ان يستقل بها مدة شهر واحد ثم عاد الرسوليون فأستولوا عليها وبقيت تتأرجح تارة تحت حكمهم وتارة أخرى يستقل أهلها بها وأمر الرسوليون بعضهم عليها كما فعلوا لإبن شماسه في نهاية القرين الثامن. والجدير بالذكر أن الجحفلي أحد ملوك دثينه حاول مرة الإستيلاء عليها بواسطة تجريده حملة عسكرية قام بها ضدها. وفي الأخير نجد أن أميري تريم وظفار يتحدان ضد الوجود الرسولي في الشحر وينهيانه منها. ثم تولاها إبن فارس أبو دجانه الشماسي الكندي فصار له البندران المشهوران "الشحر" و "حيريج".

وبعد وفاة إبن فارس عام ٨٤٨هـــ طمع السلطان الكثيري في الإستيلاء عليها فجهز عسكره ولكن أهلها هزموه في الظاهرة قريب الحامي.

وعندما جاء الطاهريون في أواخر القرن التاسع الهجري نجد الصراع يشتد بينهم وبين أمير الشحر أبي دجانة. وقد حاول أبو دجانه الإستيلاء على عدن ذاتها ولكن هُزم. ويُفصّـــل أبو مخرمة ذلك في مخطوطته "قلادة النحر" بأن بعضاً من فصائل قبيلة يافع التي كانت تنازع عدن مع الطاهريين هم

الذين حسّنوا لأبي دجانة غزو عدن فيقول: " لقد كانت من أمر يافع – وهم من الكلد وآل أحمد– بعد قدومهم على أبي دجانة محمد بن سعيد بالشحر أن حسّنوا له غزو عدن ورغبّوه في ذلك وسهّلوا له شأن مهاجمة عدن وحقّروا له شأن المدافعين عنها والقوة التي لديهم، زد على ذلك أنهم عرفوا مواضع الضعف والدفاع عنها وبيّنوا له المواقع التي يُمكن الدخول منها من غير الأبواب المعروفة ومنـــها الموضع المعروف بالقفل..ولكن سنبوقاً واحد خرج خفية من مرسى الشحر في ظلام الليل فوصل إلى عدن وأخبر بالتجهيز المذكور ... وبأن الهجـــوم سيكون من ناحية حُصن القفل فأسرع إبن سفيان – والي عدن– بوضع حامية من البرابر – الصومال والحبوش.

ولما جاء أبو دجانة على المراكب التسعة وصار أمام البلد تعسّـــر عليه الأمر إذ صادف ذلك هبوب ريح عاصف عظيمـــة أدت إلى تحطيم سفنه ... وقد حاول أن يعود ولكن مركبه جنح إلى ساحل (المكسر) والنتيجة أن أهل عدن قتلوا الزعيم اليافعي مبارك الثابتي الذي تواطأ مع أبي دجانة. أما أبو دجانة فقد أُسر وأُركب جملاً وأُدخل به وبالأسرى إلى مدينة عـــــــدن ليعرضوا أمام الملأ ... ومزيداً من النكاية به فقد طلب منه السلطان الطاهـــــــري أن يطلع مقيداً إلى روشن قصره دار السعادة ليشاهد من هناك الجموع المحتفلة في الميدان بهزيمته.

وقد بقي أبو دجانة مقيداً بمدينة عدن إلى أن وصلت والدته بـــنـــت معاشر وكانت إمراءة كاملة ذات جزم وعزم يُقال أنها نهته عن التجهيز إلى عـــــــدن، وهي التي ضبطت الشحر في غيبته، وقد سعت لدى السلطان الطاهري في فكاكه وعلى أن تُسلّم للطاهريين الشحر مقابل ذلك. وبعد أن تسلّم الطاهريـــون الشحر أطلقوا أبا دجانة هو ووالدته فسارا إلى مينائهما الآخر "حيريـــــــج" وتوفى أبو دجانة عقب وصوله.

وبعد وفاة أبي دجانة جمع آل دجانة أمرهم فأغاروا على الشحـــــــــــر وأخذوها من يد نوّاب الطاهريين ولكن السلطان الطاهري الظافر جهز حملة حربية كبيرة بنفسه. وبعد نهب المدينة وهزيمة آل دجانة أنابوا عنهم في المدينة السلطان بدر بن عبدالله الكثيري صاحب ظفار وحضرموت وذلك لأنـــــه كان خصماً للمهرة أخوال أبي دجانة. وكان ذلـــك في عام ٨٦٧هـــ. وقد حـــاول فارس بن مبـــارك أبو دجانه أخذها ففشـــل. إلا ان آل دجانة أستطاعوا في آواخر القرن التـــاسع أن يستردوها وأُخـــرج الكثيري منها بعد أن أمن على سلامته وسلامة أصحـــابه وأمواله. إلا انه في عام ٩٠٠هـــ أستطاع الكثيري الإستيلاء على الشحر مرة أخرى بعد أن أُخرج منها أبا دجانة بالأمان. وبقيت المـــدينة تحت السلطـــة الكثيرية حتى أُخـــرجوا منها بواسطة عســـاكرهم من يافع الذي أستولوا عليها عام ١١١٩هـــ. وهكذا ، كما يقول علوي بن طاهر الحداد في الصفحة ١١٧ من كتابة "الشامل في تاريخ حضرموت وفي مخاليفها" المطبوع في سنغافورا عام ١٩٤٠م، أقتسمها العسكر من يافع بينهم " على القاعدة القبلية حافات ودوراً وأشخاصاً كما فعـــلوا في تريم وسيئون وغيرها . فصارت سلطنة البندر مفرقة شظايا بين حُكام متعديين وأهله مقسمة أوزاعاً بين شركاء متشاكسين في حكومة فوض أو بمعنى الفوضى".

هذا وفي أيام السلطان بدر بن طويرق حدث الغزو البرتغالي لمدينة الشحر. وكان ذلك جزءاً من مخطط الغرب للإستيلاء على تجارة الشرق وكسر السيطرة اليمنية عليها بالذات وذلك بتوجيه الضربات العسكرية على الموانئ اليمنية مثل عدن والشحر ثم أقفال البحر الأحمر في وجه التجارة العالمية. وقد تم الغزو البرتغالي عام ٩٢٩هـ أي بداية القرن السادس عشر الميلادي. ومما ساعد في غلبة البرتغاليين ضد أهالي الشحر إستخدامهم البنادق النارية وأدوات الحريق من البارود والنفط من أجل إحراق المدينة. وقد بلغ القتلى من أهل المدينة أكثر من سبعمائة قتيل وشهيد كان من بينهم عدد من الجنسيات المختلفة التي كانت تقيم هناك بحكم كون الميناء كعدن كان يضم مختلف الجاليات المُقيمة التي تعمل في التجارة والحرف.

ويظهر بوضوح أن الشحر آبان الغزو البرتغالي كانت مقسمة إلى حافات حسب الحرف تقريباً وأنه كان فيها حتى حانات الشراب وبعض المواخير والمراقص التي يديرها بعض الهنود. وكانت الراقصات فيها يُجلبن من الهند.

وبعد السلطان بدر أبي طويرق الذي مات في السجن عام ١٥٦٩م دخل خلفاؤه من السلاطين الكثيريين في تطاحن على السلطة بحيث أن أحدهم أستنجد عام ١٠٧٠هـ (١٦٥٩م) بتدخل الجيش الإمامي في صنعاء ضد أحد مناوئيه من عائلته، فكان أن تلاشت تدريجياً السلطة الكثيرية وأصبحت الشحر وحضرموت ضمن الحكومة المركزية في صنعاء في القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر. ثم أضطر آل كثير الإستنجاد بقبائل يافع ضد السلطة الإمامية فتمكنوا من دحرها من حضرموت ولكن المنطقة وقعت بيد يافع الذين أستبدوا بالأمر هناك وتقاسموها بين عشائرهم كما سبق وأشار علوي بن طاهر أعلاه. وهكذا أنتهت الدولية الكثيرية في الربع الأول من القرن الثامن عشر وظهرت على أنقاضها حكم الطوائف اليافعية بساحل حضرموت. وكانت أشهر تلك الدويلات الإمارة البريكية في الشحر التي قامت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وقد بقيت الدولية البريكية تحكم الشحر حوالي قرن واحد إلى أن قامت الدولة الكثيرية من جديد من منتصف القرن التاسع عشر بالهجوم عليها. فقد قام آل كثير عام ١٨٦٦م بالإستيلاء على المدينة بعد أن طردوا الأمير البريكي منها. وقد ذهب الأمير على ناجي ومن معه إلى أحور ثم توفي في لحج عام ١٢٩٣ هـ. إلا أن الكثيرين لم يبقوا كثيراً فيها ففي نفس العام أستطاع التحالف القعيطي/ الكسادي من يافع أن يدحر الكثيريين منها وأصبحت منذ ذلك الحين جزءاً من السلطنة القعيطية. ولذلك كان السلطان القعيطي في أول أمره يعرف بسلطان الشحر والمكلا. إلا انه بترسخ السلطنة القعيطية بمساعدة الإنجليز بدأت أهمية الشحر التجارية تقل تدريجياً وبدأت المكلا تنافسها بالفعل كميناء أول ورئيسي لمنطقة حضرموت وذلك بحكم أن هذا الميناء الأخير قد أصبح مقر دار السلطنة القعيطية.

المكـــلا :

بالمقارنة مع الشحر فالمكلا أحدث و لم تشتهر بإسمها الحالي في أواخر العصور الوسطية وبعد ذلك عند انشاء الدولة الكسادية. إلا أنه يعتقد بأن المدينـــة قد تعـــرضت أيضاً للغزو البرتغالي الذي وقع على الشحر في بداية القرن السادس عشر. وكما ورثت الشحر ميناء حضرموت القديم "قنا" فان المكلا قد ورثت ميناء "بروم" الواقع قريباً منها في الغرب. وعن أصل التسمية يقول صاحب الشامل: (المكلا وأصله بالهمزة ومعناه مرسى السفن والموضع الذي تحبس فيه وتستر من الريح وتقول العرب " كلا سفينته" إذا أدناها من الشط وهذا هو بندر حضرموت المشهور بهذا العصـــــــر).

وقد زاد الميناء شهرة بعدما عمرته الدولة القعيطية وأستقر به سلاطينـــها فصار مثاباً للسفن التجارية ومستوردا للبضائع وممراً للمسافرين والقادمين وهو على طراز من البر وواقع بين البحر والقارة الشامخة المعروفة بقارة المكلا. ومساحة هذا البندر مستطيلة ليس لها عرض كاف ولا يمكن الزيادة فيها.

وقد أزدادت العمارة فيه فأمتد البناء في حصن القارة غرباً إلى قصر السلطان الجديد وبستانه المسمى بالباغ وأستحدثت القرية المُسماة شرح باسالم لضيق البنـــــــدر بالناقلين إليه.

والمكلا له شبه لسان ممتد في البحر يقال له رأس المكلا ويطلق على أطرافه إسم القشار والقشار هو القسم الحجري منه يقشره البحر ويضربه الموج. وفي شرقي شبه اللسان المذكور الجامع الكبير والحافه القديمة ويُطلق عليها إسم البلاد.

وفي الجانب الجنوبي الشرقي كانت توجد فيما يسمى في العهد البائد بحافة العبيد لأن سكانها هم الأفارقة المجلوبون من أفريقيا كجنود في جيش السلطان الذي لم يكن يعتمد في الولاء له على أفراد القبائل لما بينه وبين هذه القبائل عادة من ثأرات.

أما الحصن الذي كان مقر للحكومة وغربية الفرضة فهو قبلي البلاد على شبه تل مرتفع والفرضة هي المرسى وقد توسع كثيراً أيام السلطان عـــوض القعيطي. ويقابل الحصن المقبرة وهي رملة وبها قبر الشيخ يعقوب بين يوسف الذي يعتقد آل باوزير بأنه جدهم الأول وهو العباسي النسب. وقد توفى حوالي القرن السادس الهجري. وهذا يدل على أن المكلا كانت معمورة منذ ثمانية قرون على الأقل من الآن.

وتحت الحصن كشارى لعلها لفظة هندية وهو ثكنة عسكرية. ويمتد قسم البندر الذي يطلق عليه الحافة تحت القارة من الشرق إلى الغرب إلى نهاية السور والسدة القديمة. ثم بنيت بعد ١٣٢٠هـــ خارج السدة القديمة بيوت كثيرة حسنة تسابق الناس إلى شراء الأرض بها وكان بها سابقاً عرش، يعني أكواخ، للناقلين إلى البندر من أهل الحرف وغيرها.

وبيوت الموسرين في البندر مبنية بالحجر والنورة ومنها ما بُني باللبن، وفيها ما هو على طبقتين وثلاث وأربع. والسمك فيه كثير ولذيذ ورخيص وما يحرق منه وهو الحنيد قد يرسله بعض الهنود حتى إلى بلاد الصين.

ويشتد بالبندر الحر أيام الصيف والخريف إلا أن الهواء به ألطف في لياليه ولاسيما أيام الخريف بهبوب الأزيب.

وأكثر سكان البندر ناقله جاؤا من دوعن ووادي حضرموت للتجارة والأمن ولرخص الأطعمة. ولهجة أهل البندر الأصليين فيها مخالفة للهجة أهل النجد.

والمتأمل في لغتهم يرى أن سكان البندر الأوليين جاؤا من أسفل حضرموت لأنهم يجعلون الجيم ياء فيقولون " في نطق الرجل الريل ، ويلفظون الثاء فاء فيقولون في ثلاثة فلافـــة".

وكان "آل الكسادي" اليافعيون هم أول من أنشاء إمارة الكسادية في المكـــلا عام ١٧١٣م وهي أول امارة يافعية تُقام في حضرموت. ونتيجة للصراع بين "آل العمودي" في وادي دوعن فقد أستعان فريق من العائلة العمودية بالكسادي فأستطاع الأخيـــر أن يمد سلطته في بعض الفترات على معظم وادي دوعـــــن.

هذا وفي أثناء قيام الدولة الكسادية في المكلا كانت العلاقات تسوء بيـــن فينة وأخرى بينهما وبين الإمارة اليافعية الأخرى البريكية في الشحر وذلك بسبب التنافس بين الشحر والمكلا. لذا فقد نشبت بينهما عام ١٢٢٧هـــ المعارك و لم تُخمد في الأخير إلا بعد أن قررا عام ١٢٤٣م أن يحكمها سعيد بن سلطان حاكم مسقط.

عندما قامت الدولة الكثيرية الثانية بغزو الشحر عام ١٨٦٦م والإستيلاء عليها هب كل من الكسادي والقعيطي لمحاربة الكثيريين خوفاً من فناء يافع والإستيلاء على المكلا. وقد وقع أول صدام بين الفريقين خارج المكلا في الحرشيات والبقرين فكان أن أندحـــر الكثيري. وقد قام القعيطي بتوفير الجزء الأكبر من الرجال لمحاربة وإخراج آل كثير من الشحر، وبعد حرب شرسة أسترد القعيطي الشحر من آل كثير وأصبحت منذ ذلـــك الحين تحت سلطته.

وبدأ القعيطي والكسادي يفكران في غزو الكثيري في عقر داره في وادي حضرموت. وبالفعل جمعا حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل وأتجها نحو الداخـــــل ولكنهما لم يوفقا في هجومهما. وفي عام ١٨٦٩م بدأ آل كثير وحليفهم العولقي في الإستعداد لغزو المكلا. وقد حاولوا مرة ثانية الإستعانة بالأتراك الذين كانوا لا يزالون في سواحل تهامة. ولما طلب الكسادي من الإنجليز أن يساعدوه طلبوا من الباب العالي في أن لا يتدخل في شئون حضرموت. وإلى هذا التاريخ يعود إهتمام الإنجليز المباشر في حضرموت.

وفي هذا الوقت تقريباً حدث ما لم يكن في الحسبان بالنسبة للتحالفات التي كانت قائمة بين الفرقاء. فقد أنقلب القعيطي ضد حليفة بالأمس الكسادي وقام يطالبه بنصف المكلا وبروم مقابل المال الذي أستدانة لشن حربة ضد الكثيري. وقد أستطاع القعيطي أن يأخذ إقراراً من الكسادي بالديون وإن أستمر الأخير يقول أن الإقرار وقع تحت الإكراه عندما كان بمعية القعيطي حوالي خمسمائة جندي. وسرعان ما تحالف الكسادي مع عدويه بالأمس الكثيري والعولقي. وأستطاع القعيطي أن يحاصر العولقي في حصنه الحصين مدة ثلاثة أشهر. وبعد أن سقط بيده قام بتدميره كما أستطاع أيضاً أن يحتل غيل باوزير من الكثيري ثم يستولي على الريان. كذلك فقد فرض حصاراً بحرياً على المكلا.

وطلب الكسادي من الإنجليز وهدد بأنه اذا لم يحصل على حمايته ضد القعيطي فسيسلم البلاد

لآل كثير أو لتركيا أو أية دولة أخرى. وفي نفس الوقت وعد القعيطي الإنجليز بانهم إذا أستطاعوا إقناع الكسادي في أن يبيع له المكلا وبروم فسيضع كل سلطنته تحت الحماية البريطانية. ورأت بريطانيا أن من مصلحتها أن تمنح حمايتها للقعيطي بدلاً من الكسادي خاصة وأن الأخير قد هددها بعدوتها ومنافستها في اليمن تركيا. وهكذا انقلبت فجأة من موقف المصالح بين السلطانين اليافعيين إلى موقف المتحيز إلى أحدهما. فبادئ ذي بدء حذرت الكثيري من مساعدة الكسادي ثم قامت بدورها بتقديم المساعدة للقعيطي وسمحت له بشن الهجوم البري والبحري على المكلا. وأنتهى الكسادي مشرداً في جزيرة زنجبار كما سبق ومات شريداً في حوطة لحج حليفه الأول البريكي صاحب الشحر. وقد تم إعتراف الإنجليز بسلطنة القعيطي على الشحر والمكلا. وفي الثمانينات من القرن التاسع عشر وقعوا معها إتفاقية حماية وكذلك فعلوا بالنسبة مع السلطنة الكثيرية في وادي حضرموت ثم أبرموا خلال الحرب العالمية الأولى إتفاقية صداقة وحسن جوار بين السلطنتين.

وبالطبع فإن السلطنة القعيطية كانت هي الأقوى والأكبر وذلك لان سلطنة المكلا كانت تضم كل الساحل والمنطقة الغربية في دوعن والجول جنوب الوادي وجزاءً كبيراً من الوادي ذاته.

وفي عام ١٩٣٤م أرسل الأنجليز المستر إنجرامز للقيام بسمح إجتماعي إقتصادي سياسي لمنطقة حضرموت. ثم تدخلوا تدخلاً مباشرة عام ١٩٣٧م وأبرموا إتفاقية إستشارة بينهم وبين السلطنتين القعيطية والكثيرية وجعلوا المستر إنجرامز معتمدهم هناك وفي سلطنتي الواحدي والمهرة وأصبحت الأربع سلطنات تكون ما تسمى " بالمحمية الشرقية".

وقد كانت من نتائج التدخل البريطاني هو تقوّية سلطة السلطنات الشرقية وبالذات القعيطي سلطان الشحر والمكلا. فقد أصبحت المكلا هي مركز المعتمد البريطاني. فأعيد تنظيم القوات المحلية وتدريبها وتم إنشاء قوات جديدة وذلك من أجل إخضاع القبائل لسلطة السلطانين القعيطي والكثيري وللإنجليز أنفسهم. فالمعروف أن سلطة السلاطين قبل التدخل البريطاني لم تكن في بعض الأحيان تمتد إلى خارج أسوار المدن كالمكلا وسيئون وتريم. فعن طريق ضرب القبائل بواسطة تلك الجيوش والطيران الملكي البريطاني تم إخضاع المنطقة وإبرام إتفاقيات "صلح إنجرامز" كما تم في الوقت ذاته في سبيل تثبيت سلطة السلطانين إقامة وإنشاء الإدارات للتربية والجمارك والبريد. ويعترف المعتمد البريطاني بأن التنظيم الإداري لم يقم على أسس صحيحة وإنما كان في غالبه مبني على المحسوبية والمزاج الشخصي.

في بداية الخمسينيات عندما بدأ الوعي الوطني يتفتق وترتفع أصوات الإحتجاجات ضد إحكام قبضة الإنجليز على شئون السلطنة في المكلا وضد إستمرارية إعتماد السلطان على نصائح المعتمد وكبار الموظفين الأجانب مثل سكرتير السلطة، قام آلاف المواطنين في المكلا يوم السابع والعشرين من ديسمبر ١٩٥٠م بمظاهرة ضد السلطان القعيطي والمعتمد البريطاني. وبعد أن تعرّض المعتمد البريطاني في سيارته وكذا مبنى القصر السلطاني إلى هجوم الجماهير الغاضبة، أمر الانجليز جيش المكلا النظامي بأن يضرب الجماهير المتظاهرة بالرصاص فكان أن أُستشهد ثمانية عشر قتيلاً وجرح سبعة وأربعون ثم تم القبض على زعماء

الحركة وبعض المتظاهرين وأودعوا سجون السلطنة في المكلا.

وبسبب تأثر سلاطين القعيطي في المكلا بحكم إرتباطاتهم القديمة بالهند، فإن التأثيرات الهندية في مسائل الإدارة والأمور الإجتماعية والمعاشية كانت بارزة في المكلا أكثر من أي مدينة أخرى في المحافظة الخامسة.

هذا وفي آواخر سنوات الكفاح المسلح فقد شهدت المكلا أيضاً الإنفجارات والنشاطات الفدائية ضد الإنجليز ودار المعتمد هناك. وقد توجت تلك العمليات باغتيال المستر جراي رئيس جيش البادية الحضرمي خارج مدينة المكلا.

شبـــام:

شبام مدينة قديمة في وادي حضرموت تشتهر بفنها المعماري وعلو عمارتها بحيث تترامى للناظر القادم إليها وكأنها ناطحات سحب. وقد ذُكر إسم شبام في النقوش اليمنية القديمة، وكانت هي المدينة التي ورثت "شبوة" عاصمة حضرموت القديمة مكانتها كعاصمة ومركز للطرق التجارية وذلك بعد أن أحرق الحميريون في القرن الرابع الميلادي مدينة شبوة. فبعد إحراق شبوة تحوّلت الطرق التجارية للمُرّ والبخور فكانت القوافل تحملها من ظفار والمهرة حيث تنبت زرعتها هناك ومن شبوة تتجه القوافل إلى " قنا" ميناء حضرموت القديم لتصدر المادتان عبر الطرق البحرية إلى العالم القديم.

وفي "معجم ما أستعجم" يقول البكري: "شبام جبل لهمدان باليمن: قال إبن الكلبي شبام قبيلة منسوبون إلى جبل".

وقال الأعشـــــــى: "قد نال أهل شبام فضل سؤدده إلى المدائن خاض الموت وآدرعـــــا ".

وذكر صاحب "صبح الأعشى" إن قضبة ، يعني عاصمة، حضرموت مدينة شبام.

وقال بلفقيه في كتابة "بغية المسترشدين": "حضرموت مخلاف من مخاليف اليمن الأسفل وأعظم مدنها شبام وتريم".

وقال المؤرخ الجندي: "مخلاف حضرموت هو مخلاف يغلُب على أهله البداوة الشديدة وخرج منها جمع من أعيان العلماء غالبهم من قريتين هما شبام وتريم" .

أما في العصور الحديثة فيقول اللواء إبراهيم رفعت باشا في كتابه "مرآة الحرمين": (حضرموت هي عبارة عن الإقليم الواقع شرقي اليمن وأهم مدن حضرموت شبام وأهم ثغوره المكلا وسيحوت. وفي تحليل إسم "شبوة" ترجع التسمية إلى أحد ابناء الحميريين "أعلم أن بحضرموت قبائل متعددة جاهلية وإسلاما فمنها أنه كان بها من الاذواء ذو حماد وذو جدن بطنان يعود نسبهما إلى الحارث بن حضرموت بن سبأ الأصغر ومن ولد سبأ بن الحارث وآل صباح من ولد ذو رعين بن الحارث بن حضرموت وبنو شبيب بن حضرموت وآل الهذيل بن فهد ينتمي إلى ناعمه بن الغوث بن عبد بن شمس الحميري كان من ذريته ملوك شبام).

وفي العصور الإسلامية الأولى كانت شبام أحد المدن الرئيسية في حضرموت. وكانت في كثير من

الأحيان هي العاصمة لولاة الخلافة الإسلامية الذين كانوا يولّون على مخلاف حضرموت أحد المخاليف الثلاثة لإقليم اليمن.

وعندما قام عبدالله بن يحي الكندي "طالب الحق" بثورته الأباضيـــــة أيام الأمويين كانت شبام منطلق ثورته ومنها توجه إلى صنعاء فشمال الجزيرة العربية.

وبعد مصرع طالب الحق أستولى الوالي الأموي على شبام وقطع عن الخوارج المسيرة، أي المؤنة. وعلى الرغم من ضرب حركة عبدالله بن يحي من قبل ولاة بني أُمية فقد بقى المذب الأباضي هو المتغلّب تقريباً في حضرموت طيلة القرون الخمسة الأولـــى إلى أن أستطاع العلويون أحفاد إبن المهاجر القضاء على الأباضيين وتغليب المذهب السني هناك.

وبعد نشؤ الدويلات اليمنية المستقلة كبني زياد نجد أن شبام تدخل ضمن الدولة الزيادية. وهناك إشارة إلى أن الوزير الزيادي حسين بن سلامة قد بنى جامع شبام. كما أنه أقام أعلام البرد والفراسخ والأميال ونظم المراحل من حضرموت وشبام إلى مكة وجعل عدد أيامها ستين يوماً يمر المسافر إليها على المدن الشهيرة المعمورة وحفر الآبار في المغاور.

وفي أيام بني معن دخل وادي حضرموت ومدنه الرئيسية مثل شبام تحت طاعتهم. ولما جاء الصُليحيون أستمرّوا في حكمهم لمدن حضرموت ومنها شبام. وبعد فتور سلطة الصُليحيين نجد نشأة ثلاثة دويلات مستقلة أحدها سلطنة "آل الدغّار" في شبام، ومنذ إستقلال الإمارة بشئونها دخلت في حروب مستمرة مع بعض القبائل المجاورة إلا آنه لم يوجد مُنازع حقيقي لآل الدغّار من داخل شبام أوخارجها. وكانت ولاية المدينة "لبني فهد" أو "لبني الهذيل" ومنهم السلطان الدغّار بن أحمد. ويعود بنو الدغّار في نسبهم إلى سبأ بن حضرموت. ويقول الهمداني أن سكّان شبام هم بنو فهد بن حمير. وقد بقيت قبيلة آل الدغّار تحكم شبام بدون إنقطاع في تلك العصور حتى أستولى عليها عثمان الزنجبيلي عام ١١٨٠م.

بعد إستيلاء الأيوبيين على شبام ثارت المعارك ضدهم فطُردوا منها ولكنهم عادوا من جديد عام ١٢٢٤م. وفي الأخير قضت "نهد" على الأيوبيين.

وبعد إندحار الأيوبيين أستولى الأمير مسعود بن يماني على معظم مدن وقرى حضرموت الداخل ومنها شبام. وقد ساعدت نهد "آل يماني" في ترسيخ سلطتهم وإلى هذه الفترة يعود إرتفاع شأن آل كثير في وادي حضرموت وبقية المدن الساحلية بعد مجيئهم من ظفار.

ولما جاء الرسوليون نجد أن منصور اليماني يستعين بالرسوليين في إرساء قواعد إمارته. وقد دخلت شبام فترة من الزمن ضمن نطاق السلطة الرسولية في تعز، إلا أنها في أيام سالم بن إدريس الحبوظي أنفكت عن الدولة الرسولية. وقد أشتراها الحبوظي عام ١٢٧٤م. وفي أيام الطاهريين تأرجحت شبام بين عدن وحُكّامها المحليين. فلما بزغ نجم "آل كثير" منذ مطلع القرن الخامس عشر أصبح مصير شبام مرتبطاً في كثير من الوقت بالسلطنة الكثيرية التي كانت مهيمنة على معظم مدن حضرموت.

ولما حل النزاع داخل العائلة الكثيرية وبعد طرد العثمانيين من اليمن، دخلت شبام ضمن نطاق الحكومة المركزية في صنعاء. وبقيت على ذلك الحال إلى مطلع القرن الثامن عشر وبعدها أندحرت السلطة الإمامية وحلّت محلها سلطة الجنود من "يافع" الذين جاءوا في الأساس لمساعدة آل الكثير ولكنهم أستأثروا بالحكم لأنفسهم. فقد استولت يافع الموسطة على شبام وأصبحت ملكاً لهم حتى قام السلطان جعفر الكثيري بطردهم منها عام ١٨٠٣م بعد قيام الدولة الكثيرية الثانية.

وفي النصف الأخير من القرن الثاني عشر الهجري خرج حسن المكرمي من البحرين وحط على شبام ومعه جيش كبير من نواحي اليمن وطال حصارة لشبام وأضطربت حضرموت لقدومه. والحقيقة أن المكرمي كان أباضياً وكان يتظاهر بنصر الشريعة. وببروز نجم السلطنة القعيطية في منتصف القرن التاسع عشر آل نصف شبام إلى السلطان القعيطي وذلك بعد أن أشتراها من الكثيري عام ١٨٥٨م. ثم أستطاع بعد غدره بآل كثير الإستيلاء كاملاً على شبام وضمها تحت سلطته. وبقيت كذلك هي وبقية المدن الغربية لوادي حضرموت ووادي دوعن تابعة لحكومة المكلا حتى مجيء الإستقلال عام ١٩٦٧م.

تـريـــــم:

قال البكـــــــــــــري: "تريم حصن من حصون حضرموت وهو موضع الملوك من بني عُمر بن معاوية منهم أبو الخير الوافد على كسرى يستمده على قومه".

"وكذلك تنعم مدينة بحضرموت سُمّيت بتريم وتنعم إبني حضرموت إبن سبأ الأصغر" هكذا قال الهمداني، فملوك تريم يعود نسبهم إلى فهد بن القيل يعفر بن مُرّة بن حضرموت بن سبأ الأصغر.

وقال الأعشـــى: " طال الثواء على تريم وقد نأت بكر بن وائـــــــــل"

وقال كثـــير : " كأن حمولها يملأ تريم سفين بالشعبية ماتسير

ويؤكد كل من البشاري وبلفقيه والجندي بأن تريم هي من أعظم وأقدم مدن حضرموت، ويُقال أنها مسقط أمرؤ القيس بن عانس الصحابي والشاعر المشهور.

وتريم كبريم من المدن اليمنية القديمة التي جاء ذكرها في نقوش المسند وذلك لموقعها في طريق قوافل المُرّ والبخور وفي وسط وادي حضرموت الخصيب. وبعد مجيء الإسلام أستمرت في أهميتها كإحدى المدينتين الرئيسيتين في الوادي. فقد بني فيها الزياديون الجوامع وكان إسمها يُذكر كلما تعرّضت الأخبار لنشاطات الولاة المتولين على حضرموت عموماً. وكما سبق أن رأينا عند الكلام على شبام فقد خضعت تريم أيضاً لحكم الدويلات اليمنية المستقلة.

وكانت إمارة "آل قحطان" أول من أستقل بتريم بعد إنحسار النفوذ الصليحي عليها. فلما جاء الأيوبيون أستولوا على تريم وسائر حضرموت. وقد لاقى راشد بن شجعنه الأمير الأيوبي الزنجبيلي في المعركة وذلك في عام ٥٧٥هـــ وقد قبض الزنجبيلي على أميرها وعسف برجالها وفقهائها،. وفي عام ٥٧٦هـــ تجمع

الحضارم لمقاومة الغزو في حضرموت وتريم وعادت المدينة إلى آل قحطان.

وقد أستطاع أمير تريم في ذلك الوقت ان يستولي على معظم حضرموت. ولكن الأيوبيين سرعان ما أرسلوا إليهم بن مهدي فأستولى على تريم وسائر حضرموت وطويت إمارة بني قحطان. ثم قامت نهد فقتلت إبن مهدي وأستولت على تريم عام ٦٢١هـ.

ثم نهض مسعود بن يماني وتولى على تريم فكان تأسيس دولة "آل يماني" فيها. وقد أستمرت هذه الإمارة تكبو تارة وتنهض أخرى وعاشت ما يقارب ثلاثمائة عام. وفي بداية عهد إمارة آل يماني بدأ شأن آل كثير فعمروا عينات. وقد أستعان منصور اليماني بالرسوليين في إرساء قواعد إمارته.

أستمرت تريم تحت آل يماني بدون حوادث تُذكر حتى خروج الحبوظي إلى حضرموت عام ٦٧٣هـ ، والحبوظي ظفاري المولد حضرمي الأصل. وعلى الرغم من أنه أشترى شبام وأحتل سيئون ودمون فقد بقيت تريم مع آل يماني. وعندما جاء الحبوظي إلى حضرموت أظهر له آل كثيري الولاء والطاعة، لذلك فلقد أنابهم عليها. وبعد مقتلة تثبت آل كثير بما في أيديهم وتقربوا إلى العلويين والمشائخ. ومع الزمن قاموا بتقليص دولة آل يماني حتى حصروها في تريم.

وعند تأسيس آل كثير دولتهم الأولى في حضرموت نجد أن "باطويرق" يقصد تريم ويستولى عليها ويقضي نهائياً على إمارة آل يماني فيها ولكنه لم يستطع القضاء على عبيدهم. ومنذ ذلك الحين قامت دولته "آل جعفر" بتريم عام ٩٢٦هـ.

وقد جند أبو طويرق الأتراك ليخضع بهم حضرموت. ومما زاد في رعب أهل حضرموت هو ما كان يحمله جيش الإتراك مع بدر بايديهم وعلى أكتافهم ومن الإختراع الغريب في ذلك العهد وما يسمعه الناس من الصوت المزعج الذي يصم الآذان خارجاً من تلك الآلة القاتلة وهو إختراع جهنمي ليس لحضرموت عهد بمثله قبل قدوم جند الأتراك به، وذلك هو بندق "أبو فتيله" وكانوا يسمونها "البنادق العلوق".

وبعد أن سقطت تريم بيد بدر لم يهمل الدواوين وإنشاء المحاكم وتنظيم الإدارات. ففي عام ٩٤٢هـ ضُربت عملة تسمى البقشة. وبعد إنقراض دولة آل يماني في تريم دخل أبو طويرق في حرب مع عبيد آل يماني و لم يهزمهم إلّا بعد أن قتل خمسمائة منهم في إحدى المعارك الكبرى.

أصبحت تريم أيام الدولة الكثيرية إحدى المدن الرئيسية في الوادي. وكما كانت مدينة العلم والعلماء في العصور الوسيطة فقد حافظت أيضاً على هذه الميزة التي تكاد تنفرد بها بدرجة كبيرة حتى وقت قريب. والمدينة اليمنية الأخرى التي كانت تنافس تريم عبر تاريخها في هذا المجال هي زبيد. فلكتا المدينتين كانتا مركزين للعلم والقضاء يؤمهما الطلبة للتعلّم والتخرّج في الفقه والمسائل الشرعية والقضاء. وقد أشتهرت تريم بأربطتها حتى وقت قريب. وكذلك فقد كان العلماء والفقهاء يسعون لزيارة تريم من أجل الإجتماع بعلمائها وفقهائها أو التدريس فيها وكان الإخباريون يسجلون زيارة بعض الشخصيات اليمنية المشهورة إلى تريم كشيء هام جدير بالتسجيل، فمثلاً نحن نعرف أن نشوان الحميري قد زارها وأن شخصيات علمية

أخرى قصدتها وأفتتنت بها ومنهم عبدالرحمن بن عبدالله بن أسعد اليافعي الذي أنشد فيها:

" وقفت بوادي حضرموت مسلماً فالفيته بالبشر مبتسماً رحبا
وألفيت فيه من جهابذة العُلا أساطين لا يلقون شرقاً ولا غربا "

وقد أشتهرت تريم في أنها كانت يوماً ما تضم مساجد على عدد أيام السنة.

ومما زاد في شهرة تريم العلمية والدينية هي أنها كانت تقريباً مقرّاً للعلوين الذين كانوا يعتبرون السند الروحي للدولة الكثيرية خلال مختلف أطوار تاريخها السابقة واللاحقة. ولذا فقد كانت مكتبات بيوتاتها تعج بمختلف التراث العربي واليمني بين مخطوط ومطبوع، ومما ساعد على أن تصبح تريم مركزاً للعلم والأدب هو الإتصالات التي كانت قائمة بين علمائها وعلماء الأقطار العربية الأخرى والمهاجر منذ القرن التاسع عشر. فقد كانت المطبوعات العربية تجد طريقها إلى المكتبات الخاصة في تريم منذ بداية إنتشار الطباعة تقريباً في الأقطار العربية.

وعندما دخلت تريم وبقية المدن الحضرمية ضمن نطاق الإمامة في صنعاء كاد التراث الزيدي أن يرسخ أقدامه هناك. ولكن سرعان ما آلت تريم إلى المكاتب السبعة اليافعية وإلى حكومات الطوائف اليافعية. وهكذا عادت تريم وغيرها من المدن الحضرمية إلى شبة حكومات مدن كما كانت في بعض عصورها السابقة كما سبق أن رأينا. وإلى هذه الفترة يشير مؤرخ الدولة الكثيرية محمد بن هاشم بقولة: " طغى طوفان الجور والضرر من طعام العسكر وسفهائهم في تريم". وكانت هناك في مدينة تريم وحدها ثلاث سلطات.

هذا وقد تعرّضت تريم ومكتباتها إلى الإبادة أثناء الغزو الوهابي لها خلال القرن الثامن عشر. فقد ذكر المؤرخون:" أن الوهابيين عندما دخلوا إلى تريم سنه ١٢٢٢هـ طمروا الآبار في تريم بما وجدوه من الكتب في خزائنها. وكانت هذه الخزائن مشحونة بكتب السنة والفقه والتاريخ، ولقد أتلفوا من بيت واحد إثنتي عشر خزانة ومن آخر ست خزائن" ويضيف إبن هاشم:" دخلوا تريم وكسروا قببها وحرقوا كتبها وغرموا أهلها من النقود والأقوات مالا يقدرون عليه وحبسوا مناصب الجهة ومنعوا الرواتب والإذكار والتذكير".

وبعد أن قامت الدولة الكثيرية الثانية في القرن التاسع عشر كان تركيز سلاطينها على إستعادة تريم من السلطات اليافعية. وقد أستطاع السلطان غالب الكثيري أن يقضي على السلطة اليافعية في تريم ١٨٤٧م.

وفي عام ١٨٧٥م أشتد ضغط "آل تميم" و "المناهيل" و "القوات القعيطية" على تريم ولكنها بقيت بيد آل كثير وبعدها بسنتين، وبسبب الصراع القعيطي/ الكسادي وُقّعت إتفاقية بين القعيطي والكثيري أُعترف فيها لآل كثير بتريم وسيئون. ومنذ ذلك الحين وحتى مجيء الإستقلال فقد بقيت تريم إحدى المدينتين الرئيسيتين لسلاطين آل كثير في وادي حضرموت وكانت المدينة الأخرى هي سيئون.

سيـــؤون :

وُجد إسم "سيؤون" في النقوش القديمة مما يدل على قدمها كتريم وشبـــام. إلا أن من المُلاحظ بأن الإسمين السابقين كانا خلال العصور الإسلامية وحتى القرن الماضي تقريباً هما الأكثر إستخداماً وتداولاً. وقد أصبح إسم "سيئون" أكثر شهره وإنتشاراً في الفترة الحديثة عندما أصبحت المدينة هي عاصمة السلطنة الكثيرية خاصة بعد إبرام إتفاقيات الحماية فالإستشارة مع بريطانيا. إن أقدم تسمية صادفتها في العصور الإسلامية للإسم الحالي هو في عام ١٢٣٨م عندما تجمعت خُثيمه ومن تبعها من نهد فأجتاحت حضرموت وأستولت على "سيوون". كذلك تذكر الأخبار بأن سالم بن إدريس الحبوظي قد أحتل عام ٦٧٣هـــ سيوون ودمون.

ويعتقد أن من أسماء سيؤون قديما "شزن" حـــيث يقول الشاعر:

" ألا ليت المنازل قد قربـــــن فلا يرمين عن شزن حزينا"

كما إن أهل سيؤون يعتقدون بأن مدينتهم ذات جاذبية عظيمة بحيث أنها لابد أن تجذب اليها المسافرين عنها طال الوقت أم قصر. وبسبب قرب سيؤون من تريم فإن ما كان يحدث للمدينة الثانية كما سبق أن رأينا من خطوب وأخبار خلال العصور السابقة كان لا شك وأن يؤثر بدرجة أو بأخرى على سيؤون أيضاً. والحقيقة أنه منذ حوالي الخمسمائة سنة الأخيرة وتاريخ المدينتين مرتبط إرتباطاً قوياً بآل كثير والعلويين.

فعند قيام السلطنة الكثيرية الثانية نجد ان الكثيري هو الذي يقضي على السلطة اليافعية في سيؤون وذلك عام ١٨٤٧م. ومنذ ذلك الحين بقيت المدينة تحت أيديهم حتى صارت العاصمة للسلطنة.

وفي عام ١٨٦٨م، وكرد فعل للغزو الكثيري على الشحر والمكلا حاول الحليفان القعيطي والكسادي القضاء على دولة آل عبدالله في سيؤون وذلك بشنهما هجوماً كبيراً على المدينة، ففشلت حملتهما العسكرية. وفي عام ١٨٧٧، وكإعتراف بالأمر الواقع أُبرمت إتفاقية بين القعيطي والكثيري أعترف فيها الأوّل بالسلطة الكثيرية على سيؤون. هذا وقبل قيام السلطنة الكثيرية الثانية كانت سيؤون كبقية المدن الحضرمية كتريم وشبام وتريس والغرفة ومريحه تصيح صاخبه من "عبث العسكر وتلاعبهم بالأمن تلاعباً لم يبق و لم يـــذر" كما قال أحد المؤرخين ونتيجة لذلك أتصل العلويون بمحمد علي باشا صاحب مصر في بداية القرن التاسع عشر وأستنجدوا به راجين منه أن يعين لهم وآليا يخلصهم من العساكر اليافعية. كما إنهم فعلوا نفس الشيء مع إمام صنعاء فلم يجدوا منه تجاوباً.

وبسبب تدف أموال المهاجرين خاصة أولئك الذين كانوا في الشرق الأقصى قُبيل الحرب العالمية الثانية فقد قام الأثرياء والمليونيرات منهم في تشييد الدور والقصور في سيؤون وأدخلوا إليها كل وسائل الترفيه من كهرباء وأدوات ورياش ومسابح وسيارات في ذلك التاريخ المبكر.

وقد حُملّت قطع تلك المخترعات الحديثة ومنها السيارات على ظهور الجمال مسافات مئات الأميال

وعبر طرق القبائل المتحاربة، ثم عبرت الطرق من الشحر إلى سيؤون على نفقةأولئك الأثرياء وسميت بأسمائهم كطريق "آل الكاف". ومن معالم المدينة البارزة قصر السلطان الكثيري بما يمتاز به من فن معماري. ولربما تكون سيؤون أول من عرف سيارة "رولس رويلز" في اليمن ولا تزال سيارة الشيخ الكاف هذه تُحفظ في أحد المتاحف العربية.

وبعد تدخل الإنجليز المباشر في أواخر الثلاثينيات من هذا القرن وفرضهم "صلح انجرامز" على القبائل المتحاربة أصبحت سيؤون المحور الأساسي لتنفيذ ذلك الصلح بحكم أن لجنة التحكيم
المشرفة على الهدنة كان مقرها هناك. وكانت تضم بعض كبار رجالات مدينة سيؤون كالشيخ أبوبكر الكاف الذي كان عنصراً أساسياً فيها. لقد أصبحت سيؤون في بداية الأربعينيات ملتقى لأكثر من ألفي وحدة قبلية وقعت على تلك الهدنة ومعظم النشاطات السياسية كانت تدور حول الهدنة أو خرق بنودها أو العقوبات التي يجب أن تنزل بهذه القبيلة أو تلك.

كما أن أمراً آخراً في تلك الفترة أيضاً ساعد على إزدياد أهمية سيؤون وجعلها مركز أضواء في حضرموت هو الصراع السياسي العسكري الذي نشب بينها وبين "الغرفة" وبالذات بين سلاطين آل كثير أصحاب سيؤون و "إبن عبدات" الثرى صاحب الغرفة والذي كان يسعى إلى تنصيب نفسه سلطاناً خارج سلطة الكثيري ويجعل من إنجرامز مستشاراً له. فقد عمل كل من الإنجليز والسلطنتين الكثيرية والقعيطية على إخراج بن عبدات من الغرفة. فجاءوا بقواتهم ومدافعهم ولكنهم لم ينجحوا في إخراج إبن عبدات منها. ثم أستمرت الحرب بين الفريقين عدة سنوات فحُفرت الخنادق وأُحضرت سيارات مصفحة من جزر الهند الشرقية للإشتراك في مثل تلك الحروب القبلية.

ومما آثار الإنجليز وسيؤون ضد إبن عبدات هو أنه رفض التوقيع على تمديد صلح إنجرامز، وبذلك أستطاع أن يجذب إليه عدداً من القبائل الأخرى المناوئة للهدنة فأصبحت معارضة إبن عبدات ضمن إطار الصراع التقليدي بين "العلويين" و "الإرشاديين" إذ كانت ميول بن عبدات مع الإرشاديين ضد العلويين الذي كان أبوبكر الكاف يمثل زعامتهم الروحية تقريباً وكان هو الداعي الحقيقي لصلح انجرامز. وقد قامت بريطانيا بضرب إبن عبدات بالقنابل عام ١٩٤٥م و لم يستسلم إلا بعد أن استجلبت بريطانيا قوات نظامية من جيش نظام حيدر أباد والليوى في عدن.

وبعد قمع حركة بن عبدات وتدعيم الإنجليز لسلطة آل كثير في كل المجالات المختلفة، أصبحت سيؤون أشبه بزهرة الوادي على الرغم من تأثرها فترة وجيزة من قحط عام ١٩٤٣م.